

عظة أحد الغفران

بسم الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد آمين
يا أحبباء، قال الرب (إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أبوكم الذي في السماوات زلاتكم أيضا)
في هذا اليوم يا أحبباء وهو احد الغفران أو كما نسميه أحد مرفع الجبن، الذي هو العتبة التي
تدخلنا إلى الصيام، حيث نبتدأ يوم غد بالصوم الأربعيني الذي نتهياً فيه للفصح المجيد، نسمع
هذا المقطع من بشارة القديس متى والذي يبتدأ بهذه الآية عن المسامحة وعن المغفرة حيث
كما سمعنا يقول الرب (إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أبوكم السماوي زلاتكم)، نجد في
هذه الآية وكأن هناك شيئاً من الموازاة (إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أبوكم الذي في
السماوات زلاتكم)، وهذا يقارب ما نقوله في الصلاة الربية (أبانا الذي في السماوات)،
وإترك لنا ما علينا كما نترك نحن لمن لنا عليه. هل هذا يعني أن الله عندما يغفر لنا خطايانا
كما يذكر هو يترك لكم أبوكم السماوي، هل هذا الغفران هو مكافأة وهو أجر لأننا غفرنا نحن
للآخرين؟ لا يا أحبتي الغفران والمسامحة هما عطية من الله وهما هبة من الله وهما ثمرة تلك
المحبة الإلهية التي تمحي للناس زلاتهم وخطاياهم، الله هو ثمر هو نبع المغفرة هو نبع
المسامحة ولكن كأن الرب يذكرنا هنا أن على الإنسان أن ينتقل إلى حالة جديدة من العلاقة
مع الرب، كما يذكر الإنجيلي في نهاية المقطع لذي سمعناه اليوم (حيث يكون قلبك هناك
يكون كنزك)، أي أنه يبين الهدف والقصد والدافع الذي يدفع الإنسان لأي عمل يقوم به،
حيث يكون كنزك) أي أن هناك كل قلبك كل عقلك وكل كيائك وكل هواجسك، هي في كل
مكان وإنطلاقاً من هذا الهاجس ومن هذا القصد من حيث ترى أن هناك كنزك وحياتك فأنت
تتصرف والإنسان عندما يتعرف على الرب وعندما يلتصق بالرب يتعلم من الرب أن يحب،
ولهذا هو يحب أخيه وهو يغفر لأخيه وهكذا تصبح هذه المسامحة أو هذا الغفران لا وكأن
الإنسان يتصرف بشكل قانوني مع الرب أي أنه يحاول أن يقوم بعمل صالح أو يمارس
فضيلة ما بهدف أن ينال المكافأة أو الأجر على هذه الفضيلة فيحصل على الخلاص. الإنسان
يسعى أن يكون ابناً للنور، يسعى أن يحب الذي أحبنا والذي مات من أجلنا ويسعى أن يجعل
كنزه في الرب ويجعل الرب هو كنزه، والرب آنذاك هو يسكن فينا وعندما يسكن فينا

ونتعرف عليه وقتها تفعل تفعل وصيته الإلهية فينا فيتحول الواحد منا من إنسان بشري لا يسلك بحسب منطق العالم وإنما يسلك بحسب ما تملي عليه الوصية الإلهية وكلمة الرب وإنجيل الرب ولهذا هو يسامح ويغفر ويقوم بكل ما يقوم به من عمل صالح، وهذا الموضوع ليس موضوع خلقي أي أن يتصرف الواحد بأخلاق فاضلة، سيكون الواحد منا يتمتع بأخلاق فاضلة ولكن هذه الأخلاق آنية من إيماننا من التصاقنا بالرب، لأن من يلتصق بالرب ومن يحب الرب لا يمكنه إلا أن يكون هكذا، فهذا التصرف الحسن وهذا الغفران وهذه المحبة آنية من فوق لأنها سكنت فينا والتصقنا نحن بالرب، أحببنا الرب الذي أحبنا وتعلمنا من الرب الوداعة لأنه كان وديعاً وتعلمنا من الرب المحبة لأنه أحبنا، وهكذا نحن نغفر لأخوتنا ولانمسك عليهم شيئاً حتى أيضاً لا يمسك الرب خطايانا. وهكذا نتذكر في هذا اليوم الذي ندخل به إلى الصيام من خلال هذا المقطع الإنجيلي أن نجعل كنزنا في السماوات، أي أن يكون الرب هو كنزنا وأن نتذكر أن الرب هو الألف والياء في حياتنا وعندما يصبح الرب هو الألف والياء في حياتنا نرتفع نحن نحوا العلويات ننجذب نحوا العلويات، يتجلى قلب الواحد منا ويتجلى ذهننا وكياننا ويصبح بالإضافة لما هو بشري تصبح صورة الله فاعلة فيه فضيلة وخيراً وصلاً ولهذا نسمي هذا الأحد بأحد الغفران وهذا شيء جميل أن الآباء القديسين رتبوا في اليوم الذي يسبق الصوم مباشرة وهو هذا اليوم، لأن المؤمنين في مثل هذا اليوم يطلبون الغفران كل واحد من الآخر يطلب المسامحة إن كان قد أخطأ تجاه أخيه وهكذا كل واحد من الآخر، كي ندخل إلى صيام يكون هذا الصيام مبارك ومقبول ونحاول فيه أن نجاهد الجهاد الحسن. ومن جملة ما رتلنا من ترانيم تخص هذا الأحد (أحد مرفع الجبن) يقول المرمن بلسان كل واحد منا (إن آدم صرخ باكياً ويصور آدم يبكي وينتحب لأنه خرج من الفردوس، ويح لي لأن الخطيئة قد أبعدتني) دعونا ننتبه قليلاً، أبعدتني عن ماذا؟، عن الدالة الإلهية (أبعدتني من الدالة الإلهية ومذاقة العود، غربتني من نعيم الفردوس، وفي مقطع أخير يقول) فلنترد الأهواء ولنخمد أهواء النفس وأهواء الجسد ولنرتقي بخفة نحوا المسلك العلوي حيث جماهير الملائكة يسبحون الثالث بأصوات لا تقتر، ننظر لنعاين الجمال السيدي الفائق.

نعم يا أحبباء، نحن نصوم لكي نتذكر أن كنزنا هناك لكي ننظر هذا الجمال السيدي الفائق، نحن نصوم لكي نتذكر أن كنزنا هناك، ولكي نكون مع معشر القديسين الذين أحبوا الرب لكي نحيا للرب ولكي نجعل قلبنا كياننا للرب، آنذاك هذا القلب الذي يسكن الرب فيه يصبح قلباً منسحقاً ليس قاسياً وحينها يطل إطلالة محبة ومسامحة وغفران وبكل إبتسامة وبكل ما هو للخير وللصلاح على الإنسان أخيه الذي هو أمامه . الرب الإله يعطينا جميعاً أن ندخل إلى الصوم وأن يكون صوماً مقبولاً لدى الرب يأتي علينا بكل منفعة صالحة وبتقدي نفس كل واحد منا والعالم أجمعين آمين